لماذا رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي؟ (*)

خيانة المنهج

يدور هذا البحث حول عبث أستاذ جامعي كبير ، بالمنهج العلمي، في كتابه عن (الحركات السرّية في الإسلام - رؤية عصرية) ذلك الكتاب الذي أعده لطلاب كلية الآداب في إحدى الجامعات الكبرى بالقاهرة.

ويكفي لكي ندرك خطورة هذا الكتاب ، أن تعرف أن أحد أعمدة اليسار المصري ، عندما كان رئيساً لواحدة من أكبر دور الصحف (القومية) طبع من هذا الكتاب عشرين ألف نسخة ، احتفاءً به ، وتمجيداً لتزييفه للتاريخ الإسلامي ، كما زاد على ذلك بأن تبنى ذلك الدكتور، ففتح له صفحات إحدى المجلات السياسية الأسبوعية ذائعة الانتشار ، ليطل منها على القراء كل أسبوع بمقالاته وأبحاثه الفريدة ، التي تثبت أن هذه الحركات السرّية التي كانت تعمل على تحطيم الإسلام هي حركات تقدمية ، تحررية ، مستنيرة !!! .

فإذا عرفت أن ذلك الصحفي الماركسي الذي احتفى بالكتاب وصاحبه ،

(*) نشر في: مجلة الأمة ، العدد السادس والأربعون، السنة الرابعة ، شوال١٤٠٤هـ يوليو ١٩٨٤م

كان يقول في مجالسه الخاصة : « إن أقصى آماله ، أن يختفي الدين من الحياة المصرية تماماً ، فلا يبقى له أثر إلا تلك العلاقة الخفية بين المرء وربه ، (إن أراد الإنسان التمسك بهذه البقية الباقية) أما تغلغل الدين في حياتنا العامة ، فلابد من القضاء عليه ، فبالقضاء عليه -فقط- تُستأصل السلبية العقيمة من نفوس المصريين وتحل محلها إيجابية ثورة حيوية بناءة »أهـ. انظر طارق حجي ، تجربتي مع الماركسية ص ١٦٧.

وبالمناسبة هذا الصحفي الكبير كان قصاصاً ، شاعراً ، أديباً ، كاتباً ، واستخدم قلمه وفنه هو الآخر ، في تشويه التاريخ الإسلامي ، وصفعه ، وجلده ، من خلال ما كتبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، زاعماً تمجيدَهم ، ومن عجب أنه نال على ذلك -من جوقة اليساريين والإعلاميين- لقب الكاتب الإسلامي الكبير ، والمفكر الإسلامي الكبير. وقد أفضى إلى ربه قبل أن يشهد الحسرة الكبرى لليساريين بانهيار الشيوعية ، وتحطيم صنمهم الأعظم الاتحاد السوفيتي.

إن دعوتنا لإعادة النظر في التاريخ الإسلامي، ولصياغته من جديد صياغة صحيحة ، وتجليته في صورة صادقة ليست نابعة من الإدراك بقيمة التاريخ وأثره في حاضر الأمة ومستقبلها، بل من باب إحقاق الحق ، وإبطال الباطل وكشف الزيف والتلبيس الذي تعرض له تاريخنا ، وذلك واجب إنساني ، وواجب علمي .

ولقد رأينا من قبل أنموذجاً لعدوان المستشرقين على المنهج وخيانتهم وتزييفهم ، وكيف شايعهم وسايرهم ، من ترجم كتبهم إلى العربية ، ووافقهم على ما زعموه أو افتروه ، ونسبوه إلى شيخ المؤرخين الطبري .

واليوم نعرض لأنموذج آخر من التزييف والتحريف ، وخطورة هذا الأنموذج أن صاحبه (أستاذ دكتور) يحاضر الآلاف من الطلاب ، ويُدعى إلى المؤتمرات، ويستكتب للصحف والمجلات ، وتتخذ كتبُه مراجعَ ومصادر للدراسات ، بل هو نفسه يشرف على البحث العلمي ويوجهه ، في جامعة من أعرق جامعاتنا العربية ، ونحن لا نعنيه بذاته ، فلو كان وحده ، لهان الأمر ، ولكنه (نمطٌ)

موجود ومتكرر، وليس فرداً ، ومن هنا كان النظر إلى عمله ، وخطره وليس إلى اسمه ، بل ولا كتابه.

دفاع عن القرامطة :

كتب -عفا الله عنا وعنه- كتاباً يدرسه لطلابه جاء فيه :«القرامطة تجربة رائدة في الاشتراكية» وتحت هذا العنوان جعل «داعيتهم (عبدان) ليس داعياً مشهوراً ، تفانى في نشر الدعوة وحسب ، بل صاحبَ مدرسة ورائد جماعة فكرية ، ظلت مخلصة لآرائه بعد مماته»(كذا)(ص ١١٠) ونقل عن الفهرست لابن النديم أنه ألف في المذهب عشرة كتب (قيّمة) (أضاف إليها وصف (قيمة) من عنده، ثم قال في الصفحة نفسها :« ولكن شيئاً من تراث تلك (المدرسة) لم يصل إلينا ، ومن ثم ، فكل ما يُعوَّل عليه في دراسة القرامطة مستمد من المصادر السنية والشيعية فقط ، وهى معادية للقرامطة على طول الخط .. وهذا الاتفاق والإجماع لا يمكن أن يُتّخذَ بحالٍ ذريعةً للتسليم بصحة ما أورده مؤرخو الشيعة والسنة عن القرامطة، إذ ينطوي على افتراءات واتهامات باطلة .. فالمعقول أن هذا الإجماع مدعاةٌ للشك أكثر منه قرينة على اليقين». .

ثم غمز علماءَ الأمة جميعاً قائلاً:«إنهم ينتمون إلى طبقة أهل (القلم) التي تدين بوضعها المتفوق لإنعامات وهبات الحكام ، وبدهي أن ينظر هؤلاء وأولئك باستعلاء ،لحركةٍ قِوامها المستضعفون من العمال والفلاحين».

وراح الكاتب (البحاثة) يكشف عن عظمة القرامطة ، وما أدّوْه من دور في التاريخ الإسلامي ، داعياً لنا«أن نقف على عبقرية ذلك العمل السري الذي أقام تلك الدولة لتظل شوكة في جنبي الخلافتين العباسية والفاطمية ، ما يُنيف على قرن من الزمان » أهـ. بنصه.

وهو يرى أن القرامطة أهلُ صلاحٍ وتُقى، ينقطعون للصلاة والعبادة ، وأن داعيتَهم «(ذكرويه) القرمطي عظم قدْره في أعين الناس ، وصارت له مرتبةٌ في الفقه والدين ، وأن حمدان قَرْمط -زعيمَ الحركة- عرف بالزهد والتعبد».

فحركة القرامطة(عنده) « كانت ثورة اجتماعية باسم الدين ، وليست حركةً مروق ».

أما جرائمُهم ، وسفكُهم الدماء ، وقطعُهم الطرق ، وترويعهم الآمنين ، وفتكهم بحجاج بيت الله الحرام وهم طائفون ، وفظائعهم التي تقشعر لهولها الأبدان ، من تدمير للبلاد وحرق للزروع ، وطمر للآبار وعيون المياه بالجثث ، وعظام الضحايا وجماجمهم ، كل ذلك عند الكاتب مغفور(للرفاق) القرامطة.

العدوان على الكعبة المشرفة والحجر الأسود :

كان الأولى (بالمؤلف البحاثة الأكاديمي) أن يتجاوز عن ذكر هذا الجرم البشع ، ولا يُعرب عن رأيه فيه ، فعسى ألا يطوفَ بذهن القارىء ، ولكنه(بأسلوبه العلمي ومنطقه الأكاديمي) يقول بالحرف الواحد:«والمؤرخون يتحاملون على القرامطة ، ويصمون حروبَهم بالوحشية والميل الشديد لسفك الدماء ، ويتخذون من حادثة هجومهم على مكة ، ونقل الحجر الأسود إلى البحرين ذريعةً لمزيد من التحامل . ومن (المحقق) أن هذه الحادثة كانت لها دوافعها السياسية ، ولم تُعبِّر عن ميلٍ طبيعي لدي القرامطة في السلب والابتزاز ، أو عن رغبةٍ في إهدار المقدسات الإسلامية».

ثم يقول مؤنباً كتابَ عصرنا :«والواقع أن المعاصرين (يقصد للقرامطة) لم ينظروا إلى هذا الحادث باعتباره حادثاً جللاً ، كما فعل اللاحقون ، فقد انتُهكت حرمة الكعبة مرتين ،وضُربت بالمجانيق في العصر الأموي،كما كان المتصوفة آنئذ(١) يعتبرون الحجر الأسود وتقديسَه ضرباً من الوثنية(كذا).

ولذلك وجب على الدارسين التخفيف من غُلوائهم ، والنظرُ إلى هذا

---

(١) لست أدري من أين أتى(الباحث القدير) بهذه (المعلومة) ، فمن هم المتصوفة الذين كانوا (يعتبرون الحجر الأسود وتقديسه ضرباً من الوثنية)؟ فأي متصوفة هؤلاء؟ وأي تصوفٍ هذا؟ إن من له أدنى إلمام بالدراسات والعلوم الإسلامية ، يدرك ما في هذا الكلام من تخليط ، وافتراء وإفكٍ وبهتان. ولكنه (المنهج العلمي) حينما يكون ماركسياً!!! ونعوذ بالله من هذا البلاء.

الحادث على أنه أمرٌ طبيعي أملته طبيعةُ العصر وظروفُه السياسية» أهـ بنص حروفه. أسمعتم ؟ إن العدوان على الحرم ، ونزع الحجر الأسود أمرٌ طبيعي ، أيها الرجعيون ، فخففوا من غُلوائكم !!!

لن نناقش الموضوع :

ولن نناقش (الرفيق) (الأكاديمي) في تقييمه لحركة القرامطة ولا في تقديره لها، واعتزازه بها، فهذا ورأيه! والقوم يدعون إلى(حرية الرأي) فهو وما رأى !! وهم إذا حوصروا ، وجوبهوا وتبين خطؤهم وعوارهم ، قالوا:(حرية الخطأ) مكفولة، كما صرح بذلك أحد عتاتهم ، وكبيرٌ أصنامهم : فليذهبوا بحريتهم حيث شاؤوا ..

ولكن خيانة المنهج :

لن نناقشه في الموضوع ، وإنما لن نسمح بخيانة المنهج(وليس ذلك لأن المنهج «الشكل» عندنا أهمُّ من «الموضوع» ولكن لأن المنهج هو الراية التي يقاتلون تحتها ، والتُّرس الذي يهاجمون خلفه ، والسد العالي الذي يضعونه في وجه «الآخرين» الرجعيين الجامدين).

خيانة وتزييف :

لو رحت اتتبع كل استنتاجات وأحكام الكاتب (الأكاديمي) وما انتهى إليه من نتائج ، لطال بنا المقام ، وما سلم له شيء ، أيُّ شيء ، وبحسبنا أن نقدم نماذج فقط وأمثلة تشهد بتزييفه ، وتنطق بخيانته ، ولن يحتاج القارىء بعدها إلى مزيد بيان.

قال : «أجمع مؤرخو السنة والشيعة على اتهام القرامطة بإبطال التكاليف الشرعية ، فذكر (الملطي): أنهم يزعمون أن الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض نافلة لا فرض ، كما قال(البغدادي): وزعموا أن من عرف العبادة ، سقط عنه فرضُها ، وفي الاتجاه نفسه نجد الغزالي يقول:«ترك القرامطةُ تأديةَ العبادات»أهـ بنص حروفه ص ١١١.

هكذا يوهم القارىء بالحيدة (العلمية) و (المنهجية)و(الأكاديمية) وأنه يذكر الآراء المخالفة لرأيه من مراجعها (الأصلية)، ويعزوها إلى أماكنها من الصفحات والأجزاء، قبل أن يناقشها ويردّها . فلننظر كيف كان رده لهذا الإجماع من المؤرخين !!

قال : «ونحن نرى أن تلك فريةٌ لا أساس لها من الصحة ، وإليك القرائن، فالغزالي نفسُه ذكر أن الداعي القرمطي كان يشترط على المستجيب للدعوة أن يحج إلى بيت الله ثلاثين حَجة إن أخل بواجباته، والطبري ذكر:أن القرامطة كانوا لا يغتسلون من الجنابة، وإنما اكتفَوا بوضوء الصلاة لإزالتها ، وفي موضع آخر روى : «أن أحد كبار الملاك ضاق ذرعاً بفلاح قرمطي يعمل في ضياعه ، لحرصه على أداء الصلاة ، والمقريزي الشيعي أورد أن الداعي ذكرويه القرمطي عظم قدره في أعين الناس ، وصارت له مرتبة في الفقه والدين ، وأن حمدان بن الأشعث -زعيمَ الحركة- عرف بالزهد والتعبد، وكان أنصاره يسمون أنفسهم «المؤمنون» بالله ، و«الناصرون» لدينه ، و«المصلحون» في الأرض ، هذه النصوص وغيرها تُبطل الزعيمَ بأن القرامطة دَعَوا إلى هدم أركان الشريعة والتنصل من «العبادات»أهـ. بنصه بالحرف الواحد وبدون أي تلخيص .

هكذا ، بهذه النصوص يدفع (إجماعَ) المؤرخين على أن القرامطة «دَعَوا إلى هدم أركان الشريعة والتنصل من العبادات».

فماذا قال الطبري :

سنضع الآن نصَّ كلام الطبري الذي أشار إليه (الأستاذ الدكتور المؤرخ) أمام القارىء ونترك له الحكمَ ، جاء في الطبري ما نصه : «وفيها(أي في سنة ٢٧٨هـ) وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة ، فكان ابتداء أمرهم قدومَ رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة .. يُظهر الزهد والتقشف ، ويسف الخوصَ(ينسجه) ويأكل من كسبه ، ويُكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين ، وزهده

في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك عنه بموضعه .. وكان (للهيضم بن العلاء العجلي) في تلك الناحية ضِياعٌ ، فوقف على تقصير أكَرته (الذين يعملون في مزرعته) في العمارة (تعمير الأرض وإصلاحها) ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن إنساناً طرأ عليهم، فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أن الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاةً في اليوم والليلة، فقد شغلوا بها عن أعمالهم ، فوجه في طلبه ، فأخذ وجيء به إليه ، فسأله عن أمره فأخبره بقصته ، فحلف أنه يقتله فأمر به فحُبس ..»(١٠/٢٣-٢٤) بنصه.

هذا ما ذكره الطبري وهو يتحدث عن بدء أمر القرامطة ، ثم قال في الموضع الأخر الذي اقتبس منه(المؤلف العلامة):«.. فقدم قوم من الكوفة ، فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة ، وأنهم قد أحدثوا ديناً غير الإسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد ، إلا من بايعهم على دينهم .. وأنهم جاؤوا بكتاب فيه :«بسم الله الرحمن الرحيم :يقول الفرجُ بنُ عثمان : داعيةُ إلى المسيح، وهو عيسى ، وهو الكلمةُ ، وهو المهديّ ، وهو أحمدُ بن محمد بن الحنفيّة ، وهو جبريلُ. وذكر أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان، وقال له: إنك الداعيةُ ، وإنك الحجةُ ، وإنك الناقةُ ، وإنك الدابةُ ، وإنك روحُ القدس ، وإنك يحيى بن زكرياء .وعرّفه أن الصلاة أربعُ ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كلّ صلاة أن يقول: الله اكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ؛ مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسولُ الله ، أشهد أن إبراهيم رسولُ الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمدَ بنَ محمد بن الحنفيّة رسول الله، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ، وهي من المنزّل على أحمد بن محمد بن الحنفية.والقبلة إلى بيت المقدس، والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شيء، والسورةج(الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتّخذ لأوليائه بأوليائه. قل إن الأهلةَ مواقيت للناس، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنُها أوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيلي. اتقون ياأولي الألبابَ ، وأنا الذي لا أسأل عمّا أفعل ، وأنا العليم

الحكيم ، وأنا الذي أبلوا عبادي ، وأمتحن خَلْقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيتُه في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومَنْ زال عن أمري ، وكذّب رسلي ، أخلدته مهاناً في عذابي ، وأتممتُ أجلي ، وأظهرتُ أمري، على ألسنة رُسُلي، وأنا الذي لم يعلُ علىّ جبار إلا وضعتُه ، ولا عزيزٌ إلا أذللتُه ، وليس الذي أصرّ على أمره ودوام على جهالته، وقالوا: لن نبرح عليه عاكفين، وبه مؤمنين : أولئك هم الكافرون.

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي ربّ العزة وتعالى عما يصف الظالمون! يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم.

ومن شرائعه أنّ الصوم يومان في السنة، وهما المِهرجان والنوْروز ، وأن النّبيذ حرام والخمر حلال ، ولا غُسْلَ من جنابه إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن مَنْ حاربه وجب قتْله، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخِذت منه الجزية»أ.هـ بنصه(١٠/٢٥-٢٦)

هذا ما أورده الطبري في الموضعين اللذين أشار إليهما المؤلف ، هذا ما ذكره الطبري عن القرامطة:

- أحدثوا ديناً غير الإسلام
- لهم كتابٌ غير القرآن
- صلاتهم غير صلاتنا(مرتان في اليوم)
- حجهم إلى بيت المقدس
- يَروْنَ السيفَ على أمة محمد صلى الله عليه وسلم
- لهم نبي غير نبينا صلى الله عليه وسلم
- قبلتهم إلى بيت المقدس
- عيدهم الأسبوعي يوم الاثنين وليس الجمعة
- صومهم يومان في السنة (يوم المهرجان ويوم النيروز) وهما من أعياد المجوس.
- الخمر حلال
- لايتطهرون من الجنابة
- من قاوم مذهبهم وجب قتله.

هذا ما جاء به القرامطة ، وهذا هو دينهم ، وهذا ما قرأه الأستاذ الدكتور في الطبري قطعاً، فهل يقرأ هذا الكلامَ عاقلٌ ، ثم يحدثّنا عن صلاح القرامطة ، وورعهم ، وصدق دينهم ، وأن أعداءهم من كتاب السلاطين كذبوا عليهم ، وادّعَوا عليهم افتراءات واتهامات باطلة؟؟

مرة أخرى أننا لا نريد أن نحاكم هذا الباحث الضَليع إلا بالمعيار الذي لابد يؤمن به ، نحاكمه إلى المنهج ، الذي هو -بحكم عمله ووظيفته- من سدنته وحُماته.

فنسأله : أيقبلُ المنهجُ هذا ؟ أيكون جديراً بمنصبه في الجامعة من يفعل هذا؟ أله مكانٌ بين الأساتذة والأكاديميين من يرتكب هذا(٢) ؟

ونلاحظ مايلي :-

(أ) أنه قدّم وأخر في كلام الطبري ، فعكس الترتيب الذي ورد عليه الكلام .

(ب) أنه يُرتب على هذا إظهار الطبري بمظهر المتناقض مع نفسه حيث يقول: إنهم أبطلوا التكاليف الشرعية ؛ فهم لا يتطهرون من الجنابة ، ثم يعود فيقول إن أحد كبار الملاك ضاق ذرعاً بفلاح قرمطي يعمل في ضياعه(لحرصه على أداء الصلاة).

لابد من تأمل ونظر :

ونحن ندعو المؤلف أن يعيد النظر في قراءة الطبري وأن يتأمل هذه النصوص التي أمامه، أما القارىء ، فنحن على ثقة بأنه سيميز الحق من

---

(٢) تُرى هل يمكن إقامة دعوى أمام القضاء لإثبات خيانته لمقتضيات وظيفته، والمطالبة بإقصائه عن الجامعة، وأما التعويض عما قام به من تخريب في عقول الشباب بأضاليله، فما أظن المطالبة به ممكنة، لأن ذلك لا يمكن أن يقدّر بمالٍ ، ولا تفي به أموال الدنيا كلها. اللهم إلا إذا حُكم عليه بأن يكذب نفسه ، فيصدر كتاباً آخر يعلن فيه صراحةً ، أنه كان مزّيفاً فيما قاله عن القرامطة ، فهذه توبةُ القاذف؛ إذا لا توبةَ إلا بإكذابه نفسَه. ونرجو له ذلك.وعسى الله أن يتوب عليه وبخاصة أن شياطين المراكسة ، قد أعلنوا عن سقوطها، وكشفوا عن خداعها وزيفها.

الباطل من أول قراءة، ولن يحتاج إلى إعمال نظر أو فكر.

ونحن نطرح هذه الأسئلة على المؤلف لتعينه على التأمل والتدبر :

(١) هل الصلاة التي ضاق بها ذرعاً أحد كبار الملاك هي صلاة المسلمين ؟
(٢) هل يفهم هو من عبارة الطبري أن هذه الصلاة صلاة الاتقياء الصالحين ؟
(٣) هل فهم من عبارة الطبري أن هؤلاء القرامطة ملتزمون بالتكاليف الشرعية ؟
(٤) هل كان غضب (أحد كبار الملاك هذا) من حرص فلاحيه على الصلاة ، أم من كُفر هذا الداعي الذي شرع لهم ديناً جديداً ؟
(٥) هل تصلح عبارة الطبري هذه وقصته عن غضب (الهيضم بن العلاء) من تقصير عماله وانشغالهم بصلاة القرامطة -شاهداً على هدم إجماع المؤرخين الذين قالوا بخروج القرامطة على الإسلام والتحلل من شرائعه.
(٦) وأخيراً هل يسمح المنهج العلمي أن يخون أحد (الدكاتره) المرجع الذي ينقل عنه ، فيقصم ظهر النص ويمزقه ، ويأخذ جزءاً منه على طريقة ذلك الشاعر المخمور:

ما قال ربك ويلٌ للألي سَكِروا
لكنه قال : ويلٌ للمصلينا

ونترك الطبري ، وننظر فيما قاله عن الإمام الغزالي ، وإيهامه لنا بأنه متناقض مع نفسه .

فماذا قال الغزالي :

جاء في كتابه (فضائح الباطنية ص ٢١ إلى ٣٢) بيان وتفصيل (لدرجات حيلهم) وأنهم ، نظموها على تسع درجات مُرتّبة ، ولكل مرتبة اسم ، أولها : الزّرق(بمعنى الخداع)، والتفرّس ، ثم التأنيس ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط، ثم التدليس ، ثم التلبيس ، ثم الخلع ، ثم السلخ ».

وأخذ الإمام الغزالي يفصّل هذه الدرجات التي يلتزم بها الداعي القرمطي، ويستدرج ضحاياه ، ويستنزلهم على مقتضاه ، إلى أن وصل

مرحلة(الربط) فقال «وأما حيلة (الربط)، فهو أن يربط لسانَه بأيمان مغلظة، وعهود مؤكدة ، لا يجسر على المخالفة لها بحال. وهذه نسخة العهد : يقول الداعي للمستجيب : جعلتَ على نفسك عهدَ الله وميثاقه ، وذمةَ رسوله عليه السلام ، وما أخذه الله على النبيين من عهد وميثاق ، أنك تُسرّ ما سمعته مني وتسمعه ، وعلمتَه وتعلمه من أمري ، وأمر المقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الإمام المهدي ، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته ، وأمور المطيعين له على هذا الدين ، ولا تُظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً تدل به عليه .. فتعملَ حينئذ بمقدار ما نرسمه لك ولا تتعداه ..

وجعلتَ على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعني ، وجميعَ من أسميه لك وأبيّنه عندك .. وأنه لا رأى ولا عهد تتناول على هذا العهد بما يُبطله . فإن فعلتَ شيئاً من ذلك ، وأنت تعلم أنك قد خالفته ، فأنت برىء من الله ورسله الأولين والآخرين .. وأنت خارج من كل دين ، وخارج من حزب الله وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلاناً بيّنا، يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة ، إن خالفت شيئاً بتأويل أو بغير تأويل ، فإن خالفتَ شيئاً من ذلك ، فلله عليك أن تحج إلى بيته ثلاثين حَجة نذراً واجباً ، ماشياً حافياً ، وإن خالفت ذلك، فكل ما تملكه في الوقت الذي تحلف فيه صدقةٌ على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم بينك وبينهم .. وكل امرأة تكون لك أو تتزوجها في قابل ، فهي طالق ثلاثاً بتّةً ..»

وأما ما ذكره الغزالي في الموضع الآخر الذي أشار إليه الدكتور(التقدمي) (المنهجي) فهو: ما جاء في الباب الرابع من ص ٣٧ -٥٤ في تفصيل مذاهبهم وتطورها وتنوعها ، « فسبيل دعوتهم ليس بمتعيّن في فن واحد ، بل يخاطبون كلَّ فريق بما يوافق رأيه بعد أن يظفروا منهم بالانقياد لهم ، والموالاة لإمامهم : فيوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم، ويقرونهم عليها » ثم يأخذ الإمام الغزالي في تفصيل معتقداتهم في الإلهيات ، ثم النبوات ، ثم الإمامة ، ثم القيامة والمعاد، ثم يصل إلى تفصيل اعتقادهم في التكاليف الشرعية فيقول:« والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ، ورفعُ الحجاب ، واستباحةُ المحظورات ،

واستحلالُها وإنكارُ الشرائع ، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم».

انظر وانتبه للغزالي (الرجعي) الذي مضى عليه ما يقرب من عشرة قرون يحترم المنهج العلمي ، فيحكي ما يقال عن الباطنية (القرامطة) ، وما نقل عنهم ، ثم يذكر لهم رأيهم وأنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم).

ثم ينقل الغزالي قولَهم بلسانهم عن معتقداتهم فيقول:« وإنما الذي يصح من معتقدهم فيه أنهم يقولون: لا بد من الانقياد للشرع في تكاليفه ، على التفصيل الذي يفصّله الإمام .. وأن ذلك واجب على الخلق والمستجيبين إلى أن ينالوا رتبة الكمال في العلوم ، فإذا أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور، واطلعوا على بواطن الظواهر انحلت عنهم هذه القيود ، وانحطت عنهم التكاليف العملية ، فإن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب ، لينهض لطلب العلم، فإذا ناله استعد للسعادة القصوى ، فيسقط عنه تكليفُ الجوارح».

هذا ما كتبه الغزالي بنصه في الموضعين اللذين أشار إليهما الأستاذ الدكتور، موهماً القراء أنه ببحثه واستقصائه ، استطاع أن يكشف زيف (المؤرخين) و (المؤلفين) (أجمعين) حيث أظهر تناقضهم.

والآن هذه هى النصوص ، فأين التناقض ؟ وأي عقل بل أي هَوى يرى فيها تناقضاً ؟ فمع أنه قدّم المؤخر ، وأخر المقدّم ، ليزعم التناقض ، (فكيف ينحلون من التكاليف الشرعية ، وهم يهددون المستجيب بثلاثين حَجة حافياً ماشياً نذراً واجب الوفاء ؟) هذا هو التناقض في نظره !!!

هذا ما يريد أن يقوله المؤلف (الدكتور) (البحاثة) (المنهجي) (ربيب الأكاديميات) !!

ولنا أن نسأله : أي واجبات يعاقب (المستجيب) لدعوة القرامطة على الإخلال بها بأداء ثلاثين حَجة حافياً ماشياً؟

تريد أن توهمنا أنها الواجبات الشرعية والتكاليف الدينية !!!

كيف تستيغ أن تزيف علينا الحقائق ؟ وتتهم الإمام الغزالي رضي الله عنه بالتناقض؟ كيف تقبل (جامعيتك) و(منهجيتك) أن توحي لنا وللضحايا من طلابك وقرائك بهذا؟ ومن أجل ماذا؟ وفي سبيل ماذا؟ من أجل القرامطة ؟ وفي سبيل إثبات براءة القرامطة من جرائمهم وفضائحهم ؟

من أجل تزييف تاريخ الأمة؟ من أجل طمس معالم الطريق أمام الأمة؟!!

من أجل ترويج شيوعية القرمطة في الأموال والنساء والدعوة لها !!

إن الواجبات التي يحج (القرمطي) ثلاثين حجة إذا أخل بها ، هي كما في نص العهد :

١- ألا يبوح بسر ما سمعه من الداعي، وما سيسمعه مستقبلاً، وما علمه من أمر الإمام ، وما يعلمه في المستقبل.
٢- الإخلاص للداعي ومَنْ وراءه
٣- ألا يدل عليهم ، ولاينطق إلا بما يُسمح له أن ينطق به.
٤- أن يعمل بما يُرسَم له ولا يتعداه.
٥- أن يحمي الداعي وكلٌ من وراءه ، مما يحمي منه نفسه .
٦- أن ينصح للداعي ومن وراءه نصحاً صادقاً خالصاً ، ولا يخون بأي سبب من مالٍ ونعمة.
٧- ألا رأي ولا عهد فوق هذا العهد .

هذه هي الواجبات التي «يشترط الداعي القرمطي على المستجيب للدعوة أن يحج إلى بيت الله ثلاثين حجة إن أخل بها، فهل هذه الواجبات الشرعية ؟؟ أم هو التدليس والتلبيس القرمطي الحديث ؟؟

وابن النديم :

أما عدوان المؤلف على ابن النديم وتزييفه عليه فيظهر فيمايلي :-

قال في صفحة (ص ١٠٩ -١١٠) :« يطالعنا ابنُ النديم في الفهرست بمصنفات كثيرة لرواد الحركة ودعاتها ، ومن أشهرهم عبدان الداعية الذي زلف وصنف كتباً ومدوناتٍ كثيرةً ، حتى عرف بعبدان الكاتب ، وحسبنا أنه

ألف في المذهب عشرةَ كتب قيمة، فيها طول باع وسعة اطلاع ..»

وعند آخر كلمة(عشرة كتب) وضع علامة هامش ، وأحالنا على (الفهرست) دون أن يضع علامة تنصيص ، ربما لأنه لخص كلام الفهرست ، وربما لأنه أراد أن يوهمنا بأن وصف (قيمة) من عند ابن النديم ، هذه واحدة. والثانية أن الكتب التي ذكرها ابنُ النديم ليست عشرة بل ثمانية ، وكل هذا أمره هين .

ولكن الأدهى أن باحثاً عن تراث القرامطة وكتبهم ، وآثار مفكريهم ، ينقل عن (الفهرست) خبرَ كتبهم ومؤلفاتهم ، ويتأسف على ضياعها ، وعدم وصولها إلينا وأمام عينه ، وبين أصابعه خبرٌ عن كتبهم ومضمونها ، فيغض الطرف عنه ، لأنه يحمل حقيقةً لا يريد أن يراها ، أو يصلَ إليها ، ويحملُ رأياً لمعاصر للقرامطة اطلع على كتبهم ونظرياتهم ، وذكرها وأخبر عنها كما رآها.

جاء في (الفهرست) في السطور التالية مباشرة ، لما أحالنا عليه المؤلف (الأمين) (الثقة) مايلي :-

« ولهم (أي القرامطة) البلاغات السبعة ، وهى كتاب البلاغ الأول للعامة ، وكتاب البلاغ الثاني لفوق هؤلاء قليلاً ، وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل في المذهب سنة .. ، وكتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة الكشف الأكبر،« قال محمد بن إسحاق قد قرأته فرأيت أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها».

ومحمد بن إسحاق هذا هو المحدِّث الثقة الثبت المشهور بابن منده ، فلو كان صاحبنا باحثاً عن حقيقة القرامطة ، ويريد أن يرى تراثَهم ونظرياتهم في كتبهم، لنظر في كلام (ابن مَنْدَه).

ولا يقولَن قائل : إنه ليس مطلوباً من الباحث أن يقرأ كلَّ ما يكتبه المرجع الذي يرجع إليه من استطرادات حول موضوعه ، فهو قد رجع إلى (الفهرست) ليرى ما كتبه ابنُ النديم عن مؤلفاتهم ، وهذا هو الشيء الذي يزل فيه (الفهرست) فقط !! أما ما عدا ذلك ، فبوسع الباحث أن يضرب

عنه صفحاً ولا يقرؤه ، ولا يعيبه ذلك ولا يضيره.

ومع أن التسحل والتهافت واضح في هذا الكلام ، إلا أننا سنقبله، ونقول: نعم . للباحث أن يغض الطرف عن السطر التالي للجزئية التي يبحث عنها، ولو كان في الموضوع نفسه !!

ولكن ما الرأي إذا كان الكاتب عاد فأحالنا إلى(الفهرست) في الموضع نفسه ، ونقل كلام ابن النديم نفسه عن البلاغات السبعة[٣] ، ثم سكت عما ذكره عن البلاغ السابع عن ابن منده !!!

ماذا نسمي ذلك ؟؟

أعترف بأنني عاجز عن إيجاد تسمية له !!! وكل محصولي وقاموسي اللغوي لا أجد فيه اسماً يُطلق على هذا العمل ، أو وصفاً يليق به ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأخيراً :

كل هذه الخيانات للمنهج ، والجنايات على البحث ، في سطور قليلة لا تكمل صفحة واحدة ، وقد وضعنا أيدينا عليها -علم الله- هكذا دون اختيار ، فما بالنا لو تتبعنا كلَّ (بحثه) !!

---

(٣) ص ١٢٦ من كتاب المؤلف ص ٧ ونص كلامه : «ولما استقل حمدان ابن الأشعث بأمر الدعوة، وصار داعياً مطلقاً ظل محافظاً على الفلسفة السبعية فجعل مراتب الدعوة سبعاً لكل منها بلاغاً(كذا) حسب رتبة الفرد في البناء الهرمي التنظيمي ، فالبلاغ الأول للعامة والثاني لمن فوقهم قليلاً، والثالث لمن دخل في المذهب سنة ، ثم يعطى بعد ذلك بلاغاً كلما طال بقاؤه سنة أخرى ، حتى يصل إلى الدرجة السابعة، فيتلقى البلاغ السابع ، والبلاغُ الأخير ، يتضمن أسرار المذهب وحقائقه الأساسية »أهـ. بنصه ، والذي يهمنا هو أنه عند كلمة (البلاغ السابع) أحالنا إلى (الفهرست) حيث كلام محمد بن إسحاق أمام عين كل من يريد البحث ، ولا يريد التضليل .

هل من جواب :

أحسب أن من حقنا أن نضع الأسئلة الآتية !! مجرد أسئلة بريئة عسى ألا تظل حائرة ، وتجد لها يوماً (ما) جواباً .

* **ألم تطلع الجامعة التي يحمل هذا الأستاذ الدكتور اسمها على هذه الخيانة.**
* **وإذا لم تكن اطلعت ، فماذا هي صانعة الآن ؟**
* **إذا كانت عقيدتنا وتراثنا وفكرنا قد هان على حكامنا ، فسمحوا بالعبث به بحجة حرية الرأي ، وحرية البحث ، وحرية الفكر ، أليس لنا أن نسأل : من المسؤول عن حماية البحث ، وتزييف الفكر وخيانة المنهج ؟**
* **دائماً يرفع (التقدميون الحمر) و (العلمانيون البيض) في وجه القابضين على دينهم ، المعتزين بتراثهم ، دائماً يرفعون في وجوههم سلاح (العلم) و(البحث) و(المنهج).**

والسؤال : أين عبدة المنهج؟ وأين سدنة الأكاديمية؟

أماأنا فأقول :أيها المنهج.كم من الجرائم ترتكب باسمك !!!